المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (16) أكتوبر 2020
Volume (16) October 2020
IJOHSS

جماليات الوصف في المجموعة القصصية (الوصية) للقاص هيثم بهنام بردى

م.د. اسراء سالم موسى
كلية التربية للبنات - جامعة القادسية
العراق
israa.salim@qu.edu.iq

الملخص

شكل الوصف والحوار أبرز وسائل السرد القصصي، إذ لا يمكن لأي سارد أن يتخلى عنهما بشكل أو بآخر؛ لذا فقد حرص الروائيون والقصاص على الاستخدام الأمثل لهذين العنصرين، ويلجأ القاص إلى الوصف لإبطاء الزمن السردي وإعطاء صورة ذهنية عن أشخاص ومشاهد، ويعمل الوصف على ردم الفجوة السردية التي قد تحدث في النص القصصي، فضلاً عمّا يقدمه الوصف من معلومات للقارئ عن فكرة القصة، ومقصدية الكاتب، وتحديد طبيعة الشخصيات، ويعد الوصف عنصراً مساعداً للسرد، ولا يمكن للسرد أن يستغني عن الوصف؛ لذا يكون الوصف نافعاً في السرد ومطوراً للحدث، فإذا كان السرد يعمل على كشف الأحداث، فإن الوصف يُساعد على بناء لغة القصة وإعطاء أوصاف عديدة للشخصية وللمكان والموجودات. وامتازت قصص هيثم بهنام بردى بهذه الظاهرة، فقد تمكن القاص من استخدام هذه التقنية بشكل فني وجمالي.

إنَّ اتقان القاص بردى للمهارة اللغوية مكنتهُ من تشكيل صور وأوصاف بمستوى عالٍ من الشعرية، ينطلق فيها مرة من وجهة نظر الراوي الذي يأخذ على عاتقه رواية الحدث القصصي ووصف شخصياته وأماكنه، ومرة من منظور الشخصيات، وفي كلا الحالتين يستغل القاص إمكاناته السردية، وقد جاء هذا البحث للكشف عن القيم الفنية والجمالية للوصف في مجموعته القصصية "الوصية".

وستقوم دراستنا برصد ظاهرة الوصف بأشكاله الثلاث ووظائفه في مبحثين وهما: المبحث الأول تضمن دراسة الوصف من حيث أشكاله ، والمبحث الثاني تضمن دراسة الوصف من حيث وظائفه.

الكلمات المفتاحية: جماليات الوصف، المجموعة القصصية (الوصية)، هيثم بهنام بردى.

DOI: 10.33193/IJoHSS.16.2020.146

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
2020 أكتوبر (16) العدد
Volume (16) October 2020
IJOHSS

Aesthetics of Description in the Stories Collection "The Will"The storyteller Haitham Behnam Barada

Dr. Israa Salem Moussa
University of Al-Qadisiyah - College of Education for Women
Iraq
israa.salim@qu.edu.iq

ABSTRACT

The form of description and dialogue is the most prominent means of storytelling, as no narrator can abandon them in one way or the other. Therefore, novelists and storytellers have been keen on optimizing the use of these two elements, and the narrator resorts to description to slow down the narrative time and give a mental picture of people and scenes, and the description works to bridge the narrative gap that may occur in the fictional text, as well as what the description provides to the reader about the idea of the story and its intent The writer, defining the nature of the characters, and the description is an auxiliary element for the narration, and the narration cannot dispense with the description; Therefore, the description is useful in the narration and the developer of the event, so if the narration works to reveal the events, then the description helps to build the language of the story and give many descriptions of the character, the place and the assets. The stories of Haitham Behnam Barada were distinguished by this phenomenon, as the storyteller was able to use this technique artistically and aesthetically.

The storyteller Barada's mastery of linguistic skill enabled him to form images and descriptions at a high level of poetry, in which he starts once from the point of view of the narrator who takes upon himself to narrate the story and describe his characters and places, and once from the perspective of the characters, and in both cases the narrator exploits his narrative potential, and this came. The search to uncover the artistic and aesthetic values of the description in his collection of stories "The Will"

Our study will monitor the phenomenon of description in its three forms and functions in two topics: the first topic includes speech on the forms of description, and the second topic includes the functions of description.

Keywords: Aesthetics of Description, Collection of Stories (The Will), Haitham Behnam Barada.

DOI: 10.33193/IJoHSS.16.2020.146

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (16) أكتوبر 2020
Volume (16) October 2020
IJOHSS

المبحث الأول: أشكال الوصف

1- أوصاف الشخصية:

تؤدي الشخصية القصصية دوراً مهماً في السرد القصصي، على الرغم من أنها لا تعد "وجوداً واقعياً، وانما هي مفهوم تخييلي، تدل عليه التعبيرات المستخدمة" (عزام،2000: 11) في القصة، وانها "تركيب جديد يقوم به القارئ أكثر مما هي تركيب يقوم به النص"(عزام،2000: 12) ، ويعمل الوصف على الكشف عن الطباع الخلقية للشخصية من خلال الحوارات التي تجري على ألسنة الشخصيات، وما يصدر عنها من الأفعال داخل الحكاية (أبو ناضر،1979: 134) ؛ ويعمل رسم ملامح الشخصية من خلال الوصف على اضفاء صفة الجمالية على بناء النص القصصي. (العاني،2000: 53)

ويعمد القاص إلى استثمار جميع امكاناته السردية ليقدم من خلالها شخصيات قصصية يعمل على اظهارها بطريقة فنية وجمالية تسهم في إيصال فكرة الحدث إلى المتلقي بمنتهى التعبير والدقة، وكان تركيز القاص منصباً على تحديد الاسم الشخصي للشخصية، ووصف ملامحها الداخلية والخارجية، ووظيفة الشخصية في القصة، وربما من أبرز ما استوقفنا في قصصه هو وصف ملامحها لاسيما في قصته "زيارة":

"شعر اشقر مسترسل بتموج خفيف حتى الكتفين الغضتين، وجه ناصع البياض، أنف مستقيم يوحي بالاستفزاز والخيلاء والمناكدة، وفم صغير وعنق طويلة تأففت بعصبية وقالت قد تتساءل عن زيارتي هذه" (بردى،2002: 49-50)

ان ما وجدناه من وصف الانثى التي دخلت مكتب القاص هيثم بهنام بردى يتناسب مع ما يبدو عليها من صفات الاستفزاز والمناكدة والخيلاء، فقد دخلت المكتب دون أن تطرق الباب وكانت غامضة في صمتها الذي أعقب حوارها معها دعاه إلى أن يتأملها بدقة واصفاً فمها ولون شعرها وأنفها وعنقها متأملاً في عينيها التي تفضح عصبيتها.

ومن أمثلة وصف الشخصية ما جاء في قصة "العنقاء" قوله:

"شعر ابيض بعينان زرقاوان، بدن ناحل، بدلة عتيقة سوداء..هي كل ما يُميز هذا الرجل الستيني المتجذر في مقعده أمام وخلف الأجساد المستريحة في اتون العتمة المخيمة.. صارت تعابير وجهه تمثالا جبسياً حائل اللون تشخص بعينين حجريتين صمائتين محتوية تفصيلات المسرح المفروش أسفل القاعة وقد حلقت في فضائه الفسيح بجعة بيضاء بوجه قمحي وشعر مصفف على شكل هرم شبك بدبابيس بيضاء وجسد رشيق تتقافز كل خلاياه في حركات إيقاعية خاطفة مسافراً إلى جزر مطمورة في ذاكرة التاريخ المركون على الرفوف الحجرية تعاركها أمواج امتطها العفاريت فصارت تشن هجماتها على سواحل الجزر جاعله أسراب البجع تحلق راحلة إلى أماكن حالمة ترقد على جنباتها عند الأصيل مرآة صقلية"(بردى،2002: 81)

نلاحظ في هذا المقطع أن الوصف الخارجي للشخصية تم من منظور شخصية مشاركة في الحدث القصصي، وهو وصف بطريقة فنتازية؛ فبعد أن تحول فيها الرجل الستيني من كهل متعب أتعبته الحياة إلى شاب مفعم بالحيوية والنشاط الأزلي الذي لا يعرف موت ولا نهاية، مستذكراً أيامهُ التي قضاها هو والراقصة البجعة ذات الجسد الرشيق والشعر المصفف بشكل هرم يملأن خشبة المسرح رقصاً ليسافر في عالم الأحلام ، والمفارقة هنا أنهُ سرعان ما يعود إلى واقعه ليرى الشاب الراقص وقد رجع رجلاً ستينياً بشعر أبيض وبدن ناحل ولباسٍ عتيق كأنه تمثالاً جبسياً بعينين شاحبتين شاخصتين.

وشمل الوصف البعد الداخلي للشخصية ليلامس المشاعر ويتحسس من قريب التأملات والهواجس، وقد ساعد وصف الملامح الخارجية على وصف الجانب النفسي.

ويهتم القاص بتصوير أنماط سلوك الشخصيات ودوافعها الخفية ونفسياتها، فعن طريق الغور في نفسية الشخصية يتم فهمها ومواقعها في القصة، وكل صراع خارجي ينقلب إلى صراع داخلي في تأثيره على الشخصية، فالكشف عن الحالة الذهنية والنفسية للشخصية يعني الكشف عن سلوكها ودوافعها. (ابراهيم،1988: 120) و(ابو بكر،1989: 64)

ويتجلى وصف الأبعاد النفسية للشخصية في هذا المقطع من قصة "الوصية:

"همست لنفسي بحيرة، داهمتني رغبة مبهمة فاجعة- لا أدري لماذا -للتلصص فاستندت بيدي على سياج الطابق العلوي للبيت، سمعت شهقة حبيسة مكتومة تنطلق من حنجرة عمي تسمّر على أثرها أبي مصعوقاً وأمسك عمي من كتفيه يهزه" (بردى،2002: 7)

DOI: 10.33193/IJoHSS.16.2020.146

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (16) أكتوبر 2020
Volume (16) October 2020
IJOHSS

هنا يصف القاص البعد النفسي للشخصيات على لسان شخصية الشاب الذي شعر بالفاجعة في داخله وقد رأى عمه في حالة من الحزن يكتم في صدره شهقة مرسومة على ملامح وجهه، أما الأب فقد كانت مصعوقاً وهو يواجه بألم وفاة والدهُ أي جد الشاب، فبدا ذلك على سلوكه واضحاً وهو يهزُّ كتفي أخيه(عم الشاب) غير متقبلاً لصدمة الخبر.

ونجد في قصة "حلم" وصف السارد للبعد النفسي والمشاعر المتأججة من اقتراب الكائن الأنثوي:

" الليل الثلجي البض يشمل الامتداد الشاسع أمامنا ويضفي على المساء مسحة قدسية، اقترب الكائن الأنثوي، شعرت بأنفاسه الدافئة اللاهثة تهمي على خدي وكان ثمة ففي عينيه الزيتونيتين شمس أبدية وبحر لا نهاية له يدعوني في اصطفافه المجنون لامتطاء عبابه" (بردى،2002: 112)

إن هذه الرؤية الرومانسية المتحققة من اقتراب الأنثى تخلق حاجة إضافية للعودة بمسار الحياة إلى واقع الروح النقي فقد بدت مهيمنة على واقع الرجل الذي أجهدته الحياة ليتشبث بتلك العينين الزيتونيتين اللتان تشعان ضياء من الأمل كشمس أبدية لا مغيب لها، وهو تجسيد لعالم الأنثى الصاخب بوصف الحياة والباحث عن الدفء والأمان

2-وصف الأماكن:

للمكان أهمية كبيرة في العمل الأدبي والقصصي والروائي السردي، فثمة علاقة جدلية بين الإنسان والمكان، فالإنسان لا يحتاج الى مساحة فيزيقية جغرافية يعيش فيها ، ولكنه يصبو إلى رقعة يضرب فيها بجذوره وتتأصل فيها هويته، ومن ثم يأخذ البحث عن الكيان والهوية شكل الفعل على المكان لتحويله إلى مرآة ترى فيها "الأنا" صورته ، فاختيار المكان وتهيئته يمثلان جزءا في بناء الشخصية البشرية" (حسنين وآخرون،1988: 63) ، ويؤدي المكان دوراً كبيراً في عملية الإبداع؛ لأنه الوعاء الذي يحتضن أحداث القصة(بغدادي، 1988: 12) ووصفه يُهيئ القارئ لتلقي الحدث، وإذا كان القاص قد استثمر إمكاناته السردية في وصف شخصياته القصصية بما يخدم الحركة الفعلية لمسار الحدث السردي، وهو ما أشرنا إليه فيما سبق فإن "المكان يحتاج إلى تركيز وصفي عالٍ يأتي على كل جزئياته ومكوناته وقضاياه وتشكيلاته، وقد يتوقف نجاح أي قصة على المهارة التي تتكشف عنها قدرة القاص على وصف المكان" (عبيد، والبياتي،2008: 69) ؛ لأن وصف المكان يعمل على تشكيله ومنحه عمقاً دلالياً (جنداري،1992: 208- 209)

ونجد القاص هيثم بهنام بردى يحمل المكان الذي يصفه الإشارات والانطباعات الخاصة لأنه يُدرك أن وصف المكان لا يقل أهمية عن سرد الأحداث والأفعال؛ إذ يجعل القارئ يحس بالنكهة والجو المألوف، وإنّ بإمكانه مراقبة الشخصية في عملها وفي حياتها، ويرى ما تراه الشخصية وما تحس به تجاه هذا المكان، وهنا يتحقق تشخيص المكان الذي يعمل على الإيهام بواقعية القصة، ومن أمثلة ما جاء في وصف المكان قصة " النهر والمجرى"

"وتطرق الأسئلة رأسي بإلحاح، هل يبكي بيتنا المهجور؟ أتنتحب غرفتي الصغيرة الباردة؟ أيشهق طواره الواسع؟"(بردى،2002: 65)

إنَّ للمكان في المقطع السابق دوراً مهماً في تفعيل الذاكرة الطفولية التي تبكي المكان الذي تحتفظ به كأحد ممتلكات الطفولة والذي فقدته من دون سابق انذار بقرار صارم صدر من أهل الطفل أسعد بالانتقال الى مكان جديد.

وتتمتع قصص بردى بتنوع المكان، فنجد وصف المكان الأليف ووصف المكان المعادي، لما للمكان من دور واضح في تكوين الخصائص والسمات للشخصية الإنسانية التي تتعلق بالتكوين النفسي والعادات السلوكية التي هي أساس لخلق الأبعاد الفكرية التي تتمظهر في رؤى فلسفية.

في قصة "الوصية" نجد وصف المكان المعادي الذي يتلخص بوصف سيطرة الاستعمار وبطشهم وتحكمهم بمصير الافراد:

" استوطن الانكليز قريتنا أو احتلوها واستولوا على بيت عيسى وسكنوه وأصبح يعرف بالمخفر، أما عيسى فأودعوه إحدى الغرف كأول سجين عرفته القرية، وبعد أن أحكموا السيطرة على القرية تبدلت أحوالنا" (بردى،2002: 31)

إن القرية التي كانت مكان يشعر به سكانه بالألفة أصبح مكاناً معادياً بعد أن فرض الانكليز سيطرتهم عليه، وسلبوا حقوق الأهالي؛ إذ أصبح فيها عدو يُمجد القتل ويجعل التسلط سبيلاً لفرض أفكاره.

DOI: 10.33193/IJoHSS.16.2020.146

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (16) أكتوبر 2020
Volume (16) October 2020
IJOHSS

وفي قصة "نزق طفولي" فإن وصف المكان بتفصيلاته الدقيقة هو إشارة إلى أبعاد نفسية تولدت من الرضوخ الى ظروف قاهرة، ومثال ذلك قول السارد:

"وأنشأت أتملى تفصيلات الغرفة الرابضة فوق سطح دار يتكون من طابقين غرفة صغيرة ضيقة لا نافذة سوى كوة صغيرة مربعة تشرف عن علٍ على ساحة متربة تعج بهياكل السيارات المعطوبة وأكوام الخشب والنشارة. في الطرف القصي يرتكن سرير حديدي ينوء تحت فرشة قطنية متقوبة في بعض أجزائها.. قبالة السرير تماماً ثمة جهاز تلفاز يسرق من حياتي الساعات الطويلة.. الشيء المميز في الغرفة الكتب الكثيرة ". (بردى،2002: 88)

تتكشف نفسية الشخصية الساكنة في هذه الغرفة التي جمعت بين رتابة الحياة وشظف العيش وفراق الحبيبة، والعمر المهدور للضياع، غير أن الشيء الإيجابي الذي يصبره في تحمل العيش في هذا الحيز المكاني الكئيب هو مكتبته المليئة بالكتب وحبه للقراءة.

وتؤدي الأمكنة "النهر، البيت، الزقاق" في قصة "النهر والمجرى" دوراً فاعلاً في وصف المكان

"أنا واقف كالأبله وسط الحوش وتحيطني من الجوانب صناديق وبقج وأكياس مملوءة وأوانٍ وأبواب خشبية مشرعة بوجه السماء تفصح عن أحشاء غرف مسكونة بالوحشة والصمت والحزن على فراق الأحبة"(بردى،2002: 66)

القصة تُروى على لسان الصبي أسعد وقد ألم به الحزن لمغادرة بيت الطفولة الذي ألفه إلى مكان آخر ووداعه لأصحابه ومحبيه ، وهذا الإحساس الحزين قاده إلى وصف تفاصيل المكان الجديد الموحش في نظره، الممتلئ بالصمت والسكون والوحشة .

ومن أمثلة تشكيل وصف المكان الأليف ما جاء في قصة "الوصية":

" كانت قريتنا صغيرة ببيوتها محاطة بتل عالي من طرفها الشمالي يفضي مباشرة إلى المقلوب، وعند منحدر التل تمتد بساتين الكروم والزيتون على شكل حزام يلوب حول القرية حتى يلتقي بالقرية" (بردى،2002: 26)

تُشكل "القرية" مكاناً أليفاً وتعبر عن التعلق الروحي بالمكان يعلو شأنها في نفوس ساكنيها بعلو تلها الذي يُحيط بالحقول من كل الجهات، فضلاً عن زهو وبهاء بساتينها التي يزينها ثمار الكروم والزيتون وامتدادها على شكل حزام يمنح النظر راحة وطمأنينة ويمنح القلوب السكينة.

ويُشكل وصف المكان علامة مهمة للكشف عن الحالة النفسية للسارد في قصة "حلم" وهو مبهور بوصف المكان الأليف وهو الكوخ الذي تسكنه حبيبته التي دعته إلى منزلها.

"حدقت حولي متقصيّاً معالم الغرفة... ووقفت أتأمل المكان، إنداحت التفاصيل أمامي عالماً أسطورياً شفافاً مكللاً بالبياض الناصع والثلج يتطامن نحو الأفق حتى يتلاشى في خط أبيض تمتد وراءه سماء مرصعة بغيوم ربانية فيمسي للأرض المتموجة والسماء اللامتناهية لون واحد هو لون الثلج الهاطل بتمهل وكثافة مغطياً معظم أجزاء كوخ كبير ينام بوداعة على بعد مرمى حجر منها وبدت الشجيرات العارية المنتشرة على جانبيه وعلى أبعاد متباينة في اتساق رهيف ونظيم، ومن سقفه كانت ثمة مدخنة آجرية تنث دخاناً رصاصياً فيجعل للمدى حركة حبلى بالحياة ". (بردى،2002: 109- 110)

في المقطع السابق يُحاول السارد أن يُشرك القارئ في خلق المشهد المكاني من خلال الصورة الذهنية التي يرسمها للمساحة المكانية الموصوفة، فقد كان وصف المكان يعمل بطاقة تشكيلية وديكورية تبرز وحدات المكان وتؤنسنه وتبعث الروح فيه، لاسيما في حديث السارد عن الأجواء خارج الكوخ الذي يجعل القارئ يشعر بألفة المكان ، ويعيشه ويتنفس هواءه

فالسماء المرصعة بالغيوم وزينتها الربانية والأرض المتموجة بتضاريسها المتنوعة والمختلفة بألوانها تغدو لوناً موحداً هو لون بياض الثلج الناصع الذي يغطي الكوخ، إن اللون الأبيض هنا يرمز للنقاء والحب الذي يكنّه صاحب الكوخ للمرأة التي تسكن بالقرب منه.

3-وصف الشيء:

يعد الشيء عنصراً من عناصر العالم الخارجي عن الإنسان؛ إذ يستطيع أن يمسك به أو يعالجه (بوتور،1982: 57) ، وهناك علاقة وثيقة بين شخصيات أي نص سردي وبين الأشياء التي يتعامل معها كما في علاقته مع الأمكنة والشخصيات الأخرى، فالشخصيات هي من تُعطي الأشياء قيمتها، فقد تعبر هذه الأشياء

DOI: 10.33193/IJoHSS.16.2020.146

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (16) أكتوبر 2020
Volume (16) October 2020
IJOHSS

عن حزن ومعاناة أو شؤم، وأحياناً عن فرح وبهجة، وأحياناً أخرى تكون سبباً في تغيير مسار الأحداث؛ لذا فهي تعد خير وسيلة للتعبير عن الأشخاص داخل العمل القصصي.

فالشئ حقيقــة لها وجود في العــالم الخارجي ولابد من وجوده في أي نص سردي لأنه يحمل دلالات ومعاني تتخفى خلف وصفه. (قاسم،1984: 100) و(جنداري،1992: 59)

ويأتي وصف الشيء في المجموعة القصصية "الوصية" من الحس المرهف للقاص هيثم بهنام بردى بجزئيات الأشياء، والاهتمام بها، والسعي لتقديمها بما يخدم البناء القصصي.

ومن جملة وصف الشيء في المجموعة القصصية ما جاء في قصة "زيارة"

" واحسست بالدوار يتلاشى رويداً رويداً، واستوى كل شيء في مكانه: النافذة، الأريكة، التحف الصغيرة، وجسد صباح النائم، تمددت على الأريكة الأخرى للصالة، وأنشأت أحدق في السقف، تشكلت في مداه الأبيض المترامي صور مربعات ودوائر وأشكال هلامية وآدمية ونباتية وحيوانية من البقع الرطبة المتقشرة المنتشرة في أديمه كالبهاق".(بردى،2002: 60)

يصف السارد الأثاث الذي رآه يدور حوله لإصابته بالدوران بسبب شك راودهُ بأن المرأة الزائرة هي "هناء" وهي إحدى شخصيات روايته، ثم تلاشى الدوار وبدأ يستعيد وعيه وثبت لهُ باستقرار كل الاشياء المحيطة به "الأريكة"، "النافذة"، "التحف" ، "السقف" ، "وجسد صباح"، وبدأت التساؤلات تنهال في ذهنه كيف تكون "هناء" وهي شخصية متخيلة جسد لامرأة حقيقية تقف أمامه؟

يُشكل وصف الأثاث في هذا المقطع نمطاً من الترميز الذي يمنح النص امتدادات إيحائية أكثر مدى؛ إذ يُعطي صورة عن التأثير النفسي على السارد عند رؤيته للمرأة الزائرة ، وقلقه من عدم البوح باسمها فهي مجهولة بالنسبة إلى الراوي لأنَّه لا يستوعب أن تكون إحدى شخصيات روايته ماثلة أمامه في الواقع بينما هي تعرفه، وهنا تحدث مفارقة فنية تُسهم في تصاعد الحدث القصصي وتحقق ظاهرة العجائبية في القصة.

ومن أمثلة تشكيل وصف الشيء ما ورد في قصة "الحلم":

" كل شيء في الحيز الغارق بالألق الناصع الناثّ من مصباح كبير يتدلى من السقف بسلسلة فضية كان يفصح عن ذوقِ فنانٍ مرهف الحس بدءاً بتنظيم الأرائك مروراً بالرفوف المتوزعة على الحيطان الخشبية وقد زيّنتها كتبٌ ذات أغلفة صقيلة لمّاعة، وانتهاءً باللوحات الكثيرة الكبيرة المنتشرة باتساق" (بردى،2002: 71)

يمضي السارد في وصف الاشياء التي تملأ المكان وتفصيلاته الهندسية (المصباح والأرائك والرفوف والحيطان الخشبية والكتب واللوحات) وتستدعي اللوحات التفاتة خاصة منه فيصفها متقصيّاً معالمها وتبهره فنيتها، وهو يرى من خلالها الرسامين العالميين فان كوخ، انجلو، دالي، كوكان إن وصف جمالية الأشياء داخل الكوخ ما هو إلا إشارة تكشف عن الأبعاد النفسية التي يعيشها السارد لتأتي الانعطافة القصصية في أنّ الأشياء التي تملأ الحيز المكاني قد مُنحت بُعداً جمالياً وصارت حالمةً عبر وجود المرأة التي تقدمت وصافحته طالبة منه أن يذهب معها إلى بيتها، واستغراق السارد في وصف تفصيلات هذه الأشياء ما هو إلا تعبير عن مكانة ذلك الرمز / المرأة التي أسرت لبّه وهيمنت على جوارحه ليغدو للمكان وأشيائه شأن جديد.

المبحث الثاني: وظائف الوصف

1- الوظيفة التزيينية:

يتخذ الوصف في المجموعة القصصية "الوصية" وظيفته التزيينية التي تجعل منه يُشكل "صورة أبدع في ذهن المتلقي" (قاسم،1994: 80)، فضلاً عن اظهار البعد الجمالي للأشياء الموصوفة، والشكل الديكوري للأماكن، والفيزيقي للأشخاص.(جينيت، 1988 :60)

وتتمثل الوظيفة التزيينية في قصة (نورس):

"أسماكاً وأفلاكاً تمخر في عباب النوء وتحت صدى موسيقى خالدة توقظ حواري البحر وعرائسه أسمع تسابيح الملائكة، أرى النوارس تحلق وتحط على صواري الأفلاك وعوارضها الخشبية... واستدرت دورة كاملة حول جسدي واركنت ظهري على سياج الجسر وبحلقت، كان الطائر الأبيض يتهاوى وقد أنفرش جناحاه على جانبي الجسد المغزلي الأبيض وقد اصطبغ عند الصدر بنقاط صغيرة من دم قان متوهج، حدقت في عينيه، وقد تسارع الخافق في صدري بدقاته، كانتا جامدتين وفي أعماقهما أفلاك تغرق واسماك ملونة تنفق وبحر غضب ينوء تحت رحمة عاصفة عاتية" (بردى،2002: 77)

DOI: 10.33193/IJoHSS.16.2020.146

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (16) أكتوبر 2020
Volume (16) October 2020
IJOHSS

تتحقق الوظيفة التزيينية في الوصف من خلال وصف منظر طائر النورس من حيث حركته وشكله فهو يفترش جناحاه ويتهاوى ويتلألأ بلونه الأبيض ونقاط الدم المتوهج على صدره كأن الجرح الذي ألم به حدث ليزين جسده ويجعله أبهى.

إن وصف الطائر في هذا المقطع جاء معادلاً موضوعياً لوصف السارد الذي ارتكن على سياج الجسر تتسارع نبضات قلبه ليعود الى الحلم فتباغته الأنثى التي تتماهى مع لحظة قتل النورس، وهو يتهاوى ليصطاده الصبيان فيُقتل كما تُقتل القصيدة بكلماتها "سمعت صوت تأوه أنثوي فاجع، أيها الشاعر لقد ماتت القصيدة.. كانت الكلمات تموت في حلقي وشجرة الحياة تتيبس عروقها في داخلي وتستحيل إلى مجرد أعواد، صرخت بجنون: لا يا نورس، لا يا قصيدة" (بردى،2002: 78)

إنّ الشاعر الذي يهوى رؤية النوارس، تجمعه الصدفة بفتاة تدعى (نورس)، ويحس عند رؤيتها بأنها القصيدة التي يبحث عنها لكنّه لا يتمكن من إتمامها بسبب تدخل بعض الصبية اللاهين بصيد النوارس، فتموت القصيدة بين شفتيه.

وتتجسد الوظيفة التزيينية للوصف في قصة "نزق طفولي" :

" تحدق فيّ بعيونها العشبية وعلى ثغرها إبتسامة تُضاهي شمس الربيع، فتشرق في داخلي الموبوء الصبار والحنظل ألف شمس بارقة، يخرج صوتي بإيقاع شبيه بقرع طبل مثقوب.

ـ صباح الخير يا حلوة." (بردى،2002: 87)

تكمن الوظيفة التزيينية للوصف في هذا المشهد الخيالي الذي يجمع بين وجه فائزة حبيبته ووجه طفلة يصادفها كل صباح تشبهها الى حدٍّ كبير في جمال عينيها وابتسامتها، تجلس صباح كل يوم عند باب الدار تنظر اليه نظرة دلع وتعلق وتتماهى عنده الطفلة في صورة فائزة ، بيد أن عدم قدرة الطفلة على الكلام جعلت الراوي الذاتي يعود إلى خيبة الحب وان العلاقة الفاشلة منتهية لا محال، وهذا ما يجعله يهرب مجدداً إلى مكان كلّه طفولة ونزق وبراءة وطفلة تركض فيقبلها ليشعر "بزهور السفرجل والقرنفل وتضوعت الحقول برائحة الآس والبيبون وانطلق الشحرور يغني فوق الأغصان العالية للأشجار". (بردى،2002: 95)

وهنا يتسلق المكان الذي يتحول إلى بنيان طفولي له عينان عشبيتان في تلميح إلى أبعاد نفسية لاشعورية، ووفق تقنية الاستباق الزمني الذي تعمد السارد تكراره محتمياً خلف لغة وصفية عبّرت عن الحالة الذاتية للكاتب الذي وجد نفسه في مبعدة عن الواقع ليكشف لنا عن نزقه الطفولي نحو البراءة والنقاء.

2- **الوظيفة الإيهامية:**

وتعمل على ايهام القارئ بأنه يعيش في عالم الواقع لا عالم الخيال، ويخلق انطباعاً بالحقيقة ؛ لأنه يدخل العالم الخارجي بكل تفاصيله في العالم التخييلي للقص. (قاسم،1994: 80)

ومن أمثلة تشكيل الوظيفة الإيهامية قصة "العنقاء" إذ يتحول الرجل الستيني بشعره الأشقر وعينيه الزرقاوين إلى راقص شاب بكامل نشاطه وقوته في مفارقة يكون العامل الأساس فيها الأنثى المتمثلة بالبجعة البيضاء.

"راقص بشعر أشقر وعينين زرقاوين وبدن ناحل، خرج من الباب الجانبي وحين غمره مستطيل الضوء الساقط من نقطة ما في سقف المسرح قفز محلقاً في الفضاء، بقي معلقاً في قفزته المفعمة بالحبور لفترة تيقن فيها السيد الستيني انها ستطول إلى الأبد، هبط إلى الأرض، ركض بخطى رشيقة نحو البجعة البيضاء، طارت تميس على مويجات البحيرة، دارت حولها بأجنحتها البيضاء ثم انزلقت بين ذراعيه الضامرتين" (بردى،2002: 83)

فالجسد الناحل والشيخوخة لا تتعارض مع عودة الشباب والقوة طالما أن هناك الهام انثوي يُلهم الرجل حبّ الحياة والإرادة والقدرة على كسر المألوف، فالأيام المنصرمة يمكنها أن تنبعث من جديد فـ "ثمة حياة يافعة تسري في عروقه، وقوة هائلة تنطلق من نقطة ما عميقة غائرة في أحشائه". (بردى،2002: 84)

وتتمثل الوظيفة الايهامية في مقطع من قصة" زيارة"

"واختفى من أمامي انتشرت ملامح وجهه في سقف الجدران، الأرائك، الصور، وأثاث الصالة صرخت برجاء ـ زكريا زكريا مهلاً يا رجل وأدور حول نفسي صارخاً زكريا زكريا والوجه يحاصرني من كل حدب اركض صوبه ينأى عني يتوارى ثم شعرت باسوداد يغلف رؤاي" (بردى،2002: 57)

يُشكل هذا الوصف الايهامي عمل تشفيري أساسه الحلم الذي يجعل القارئ يتوهم الأحداث التي أبتدعها الكاتب؛ إذ يتعرض إلى نقد شديد من قبل أبطال روايته ويطارده موت "زكريا" بطل روايته الذي يزوره في شقة صديقه ويتماهى وجهه مع أثاث الشقة من كل زاوية من زواياها ليلومه على النهاية غير الموفقة للرواية التي انتهت

DOI: 10.33193/IJoHSS.16.2020.146

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (16) أكتوبر 2020
Volume (16) October 2020
IJOHSS

بموته وهذا ما يجعل زكريا/البطل يعيش مع السارد/الكاتب حالة من الصراع الذي يكتنف نفس الإنسان الباحث عن مسببات وجوده.

3-الوظيفة التفسيرية:

تكشف هذه الوظيفة في الوصف عن التركيب النفسي للشخصية وتفسير ما ينتج عنها من أفعال وسلوك، وتُشير إلى مزاجها وطبعها، فضلاً عن وصف ما يُحيط بالشخصية من الأشياء؛ لذا فهي تخدم البناء القصصي وتكمل وظيفة الوصف التفسيرية داخل الحكاية، وتُساهم في تطور الأحداث. (جينيت، 1988 :60)

ومن أمثلة هذا الوظيفة التفسيرية للوصف ما جاء في قصة "الوصية"

"وبعد أشهر رأيناه يحمل شجرة زيتون صغيرة ويتجه نحو المقبرة، ثم رأيناه كل يوم يمليء (مطارته) من الساقية ويتجه إلى المقبرة، نعم يا بني، زرع زيتونة صغيرة قرب قبر ابنه ورعاها بحنان حتى غدت هذه الشجرة الكبيرة المباركة التي يتفيأ بها ذوي الموتى عند زياراتهم للقبور، ما أروعك يا يوسف، ما أكرمك في حياتك وما أكرمك في حياتك الأخرى". (بردى،2002: 44)

قدم الوصف في وظيفته التفسيرية عبر الشخصية "عيسى" رؤية إنسانية لحالة الفراق التي عاشها وهو يحمل شجرة الزيتون ومطارة الماء ويقصد زيارة القبور، يكتنفه الحزن لفقد أبيه، ويُمعن القاص في وصف شجرة الزيتون التي زرعها "عيسى" بالقرب من قبر ابنه، ورعاها وسقاها حتى كبرت وصار الناس يتفيأون بها عند زيارة موتاهم، وهذا ما خفف عن "عيسى" حالة الحزن وعدّها من كرم "يوسف" ابنه الذي امتدَّ حتى بعد مماته.

ومن أمثلة الوظيفة التفسيرية أيضاً ما جاء بقصة "النهر والمجرى"

" وإذ تبتعد سيارة (البيك آب)، وأنا ملقى في مؤخرتها مع الأشياء بإهمال، رأيت تلويحة اليد، يد سمير، وهي تفتر تدريجياً ثم تتهالك صاغرة بجانبه وثمة في وجهه ووجوه الأحبة الآخرين الواقفين بجانبه، ذلك الحزن الطفولي الصادق العميق، وقبل أن تنعطف بنا السيارة رأيتُ سمير يجلس متهالكاً على أسفلت الزقاق، ثم يجهش بالبكاء." (بردى،2002: 70)

قدّم الوصف في النص السابق عبر وظيفته التفسيرية الأبعاد النفسية التي يعيشها الطفل الذي قررت عائلته الانتقال الى بيتٍ جديد، فتتوارد الخواطر والتساؤلات في ذهن الصبي حول فراق أصحابه الذين كان يقضي معهم وقتاً جميلاً، غير أنّه يُدرك أنها لحظة الوداع لاسيما موقف "سمير" الذي لم يتماسك نفسه وهو يودع صديقه المقرب، هنا عملت الوظيفة التفسيرية على وصف انعكاس المكان على الحالة النفسية لشخصية الطفل.

الخاتمة:

إنَّ جماليات الوصف عند هيثم بهنام بردى في مجموعته القصصية "الوصية" تنطلق من تركيزه على مستويات البؤرة السردية التي ينطلق منها ، فثمة زوايا نجح القاص في استثمار مدياتها ، وبالتالي استطاع أن يُبدع نصوصاً تحمل لنا الكثير من المفاجآت لاسيما الدور الكبير للوصف في تشكيل أدبية النص؛ إذ شكل الوصف ملمحاً أساسياً وبارزاً فيها حتى كاد أن يكون الوسيلة المهيمنة في تشكيل قصص المجموعة الشعرية الثمان، فضلاً عن احتوائها مقاطع وصفية متنوعة الأشكال والتعابير استطاعت أن تحول السرد من بساطته إلى فنيته، وهنا تلعب موهبة المؤلف وفنيته وعبقريته.

وقد جاءت أغلب الأوصاف في قصص المجموعة من وجهة نظر الراوي الذي أدى دوره على أكمل وجه بوصفه راوياً للأحداث وواصفاً للأماكن والشخصيات.

DOI: 10.33193/IJoHSS.16.2020.146

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (16) أكتوبر 2020
Volume (16) October 2020
IJOHSS

المصادر والمراجع

1. إبراهيم، عبد الله (1988) : البناء الفني لرواية الحرب في العراق: دراسة لنظم السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد.
2. أبو بكر، وليد(1989) : البيئة في القصة، مجلة الأقلام، العدد7.
3. أبو ناضر، مورس(1979) : الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة، ، دار النهار للنشر، بيروت.
4. بردى، هيثم بهنام(2002): الوصية (قصص)، دار الشؤون الثقافية العامة ،ط1، بغداد.
5. بغدادي، شوقي (1988): جماليات المكان الدمشقي، مجلة عمان، العدد 34.
6. بوتور، ميشال (1982): بحوث من الرواية الجديدة، ، ترجمة فريد انطونيوس، سلسلة زدني علماً(202) منشورات عويدات، ط2، بيروت.
7. جنداري، إبراهيم (1992) : هامشية المكان في رواية غانم الدباغ، ضجة في ذلك الزقاق، ، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل العدد(24).
8. جنداري، إبراهيم (1992) : الموصل فضاءً روائياً ، مجلة الأقلام، العددان 7و 8.
9. جينيت، جيرار(1988) : حدود السرد، ترجمة بنعيسى بوحمالة، مجلة الموقف الثقافي، العددان 8 و9.
10. حسنين، أحمد طاهر وآخرون(1988) : جماليات المكان ، عيون المقالات، دار قرطبة، ط 2 ، الدار البيضاء.
11. العاني ، شجاع مسلم(2000) : البناء الفني في الرواية العربية في العراق(الوصف وبناء المكان)، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد.
12. - عبيد، محمد و البياتي، سوسن (2008) مرايا السرد وجماليات الخطاب القصصي ، دار العين، ط1، القاهرة.
13. عزام، محمد،(2000): شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، دمشق.
14. قاسم، سيزا أحمد(1994): بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

DOI: 10.33193/IJoHSS.16.2020.146